يان يوهانسون

في التاسع من الشهر الجاري، يمرّ 53 عاماً على رحيل الموسيقي وعازف البيانو السويدي، يان يوهانسون. تجربة لم يُكتب لها الاستمرار طويلاً؛ إذ رحل الرجل عن 37 عاماً. هنا، نقف عند تجربته، وأبرز ملامح الموسيقى التي وضعها

ارتكز في أعماله على أغانٍ مألوفة للمستمع الاسكندنافي (لينارت ستين/Getty)

الكنيسة ما زالت في انتظار الحفل

علي موره لي

لطالما اقترن الجاز، في الولادة والنشأة، بالولايات المتحدة الأميركية؛ إذ مثّل وما زال، الشكل الفنّي الأميركي الشمالي الأكثر تبلوراً وأصالة. ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار، كلّ تلك المشارب الثقافية الأصلية، كتلك التي تنبع من القارة الأفريقية بالأساس، ثم أميركا الجنوبية، بحكم الجوار المشترك، ناهيك عن العامل الأوروبي البارز عبر معظم الآلات المستخدمة، والكامن من خلال النظريات الموسيقية المتبعة.

من جهة أخرى، لا يغيب عن الأذن حضور الجاز لدى كلّ الشعوب في قارات الأرض الخمس. سواءً بالتذوق والاستماع، أو بالتأليف والأداء. قد يعزو المرء ذلك إلى المظلة الجيوسياسية الأميركية المُخيّمة على العالم، منذ منتصف القرن العشرين. إلا أن للجاز أيضاً خصائص تُمكّنه من الاختراق والتمدد خارج حدود بلد المنشأ؛ كالنبض الإيقاعي الحيوي ذي الأثر الفطري على كل الناس، والسلالم الخماسية ذات السمة الحيادية من ناحية الهوية النغمية. ومن ثم الارتجال، الذي يفسح المجال أمام التلاقح بين موسيقات الشعوب، من دون الوقوع في شرك الاستيلاء الثقافي. هكذا، برزت أسماء موسيقية لامعة في عالم الجاز، لم تكن كلها أميركية. ولم تنتج كلها جازاً أميركياً صرفاً، بل تعاملت مع هذا الجنس الموسيقي كـ «بوتقة»، بعضها سطع نجمه في العالم أجمع، بما فيه الداخل الموسيقي الأميركي، كالمؤلف وعازف الأورغ النمساوي جو زافينول Joe Zawinul وفريقه «ويذر ريبورت» Weather Report الذي حقق نجاحاً كبيراً في سبعينيات القرن الماضي. ثمة أيضاً عازف البيانو الأذري واكيف مصطفى زاده 1940-1979 Vagif Mustafazadeh، الذي حاكى البُعيدات الصوتية الشرقية على آلة البيانو الغربية. أما في العالم الناطق بالعربية، فلأسماء مثل ربيع أبو خليل من لبنان، ويحيى خليل من مصر، وأنور إبراهيم من تونس، حصة تمثيلية في كثير من مهرجانات الجاز الدولية.

> تحمل شخصية يوهانسون الملامح العامة لجاز الشمال الاسكندنافي

خصائص الجاز ذاتها، من مرونة قالبيّة وسيولة أسلوبية، تسمح باستحضار نموذج البوتقة ضمن أيّة ثقافة حول العالم، كما لو كان ذلك هو الغرض الأول منه، جعلت من الدول الاسكندنافية بدورها مركزاً مُشعّاً للجاز المعاصر. عازف الساكسوفون الخارق للعادة، النرويجي يان غابارك Jan Garbarek، إضافة إلى شهرته الدولية، كان قد ساهم بتقديم نخبة من العازفين الإسكندنافيين الأفذاذ إلى العالم. وذلك من خلال ما عُرف بـ يان غاباريك غروب. فمن خلال علامة تسجيلات «إي سي إم» ECM، أطلق الأخير لوناً أثيرياً من الجاز الشمالي (في إشارة إلى شمال القارة الأوروبية والكرة الأرضية)، بات يُعرف بـ صوت إي سي إم. صوتٌ صار تقليعة، وأخذ يُلهم مشاهير الجاز المزيج (الفيوجن) في أميركا وحول العالم.

اسكندنافياً أيضاً، في السويد، على وجه الخصوص، يعدّ الثلاثي الذي أسسه عازف البيانو إسبيورن سفينسون Esbjörn Svensson مثالاً ناجحاً على جاز إسكندنافي حقق رواجاً عالمياً. وساهم في حضور السويد على لوائح الإصدارات الأكثر مبيعاً في دنيا هذا النوع من الموسيقى. إلا أن الأقدار، وقبل صعود سفينسون درجات العالمية، قد شاءت بقسوتها الشبيهة ببرد الشمال القارس وسمائه الرمادية الداكنة، أن يبقى موسيقيٌّ سويدي مُبدع ومؤثّر، غائباً بصورة شبه كلية عن الذاكرة الموسيقية في أوروبا وحول العالم؛ إذ طالما مثّل سعي عُشّاق الجاز بغية اقتناء تسجيل له على أسطوانة، شريط أو سي دي، وذلك قبل مشاع اليوتيوب، ومنصات التحميل الصوتي كسبوتيفاي وآي تيون، أشبه بمهمة مستحيلة. إنه عازف البيانو السويدي يان يوهانسون 1931-1968 Jan Johansson، الذي يصادف التاسع من الشهر الجاري ذكرى رحيله. قصر أمد حياة الموسيقي، المؤلف وعازف البيانو، قد يكون أحد أهم الأسباب وراء غيابه عن آذان العالم. ففي طريق الذهاب لإحياء إحدى الأمسيات الموسيقية، في كنيسة، جنوبي السويد، تعرض يوهانسون إلى حادث سير قضى بسببه، وهو لم يزل وقتها في سن السابعة والثلاثين. ناهيك أنّ الجاز بحدّ ذاته، أيّما كان وأينما كان، لونٌ خاص بنادٍ صغيرٍ نسبياً من المستمعين. تضيق الحلقة الجماهيرية أكثر فأكثر، إزاء الفنانين الذين نشطوا بشكل أساسي ضمن مجالات جيوثقافية متطرفة، كشمال القارة الأوروبية.

تحمل شخصية يوهانسون الموسيقية الملامح العامة لجاز الشمال الاسكندنافي؛ إذ تتجلى جميعاً في مجموعة من التسجيلات بعنوان «أغان شعبية» Volksvisor، تشتمل في الواقع على إصدارين منفصلين. الإصداران هما ألبومٌ اسمه «جاز باللغة السويدية» Jazz på Swenka، وآخر تحت اسم «جاز في روسيا» Jazz på Ryska. أول السمات الاسكندنافية العامة لديه، انطلاقاً من عنواني الألبومين، هي الاجتهاد في توظيف الجاز من أجل دراسة ونشر التراث الغنائي الشعبي. بالنسبة إلى شعوب تعيش في بقعة متنوعة بتضاريسها ومتلونة بموروثها السابق للمسيحية، تحظى الأغنية الاسكندنافية بمنزلة شبه قدسية، وتعد مُمثّلاً للهوية الجمعية. الأمر الذي يُحتّم على كل موسيقي «نوردي» (شمالي) أن يبقى يدور في مدارها.

فالأغنية الشعبية الاسكندنافية، بإيقاعها الثنائي أو الثلاثي البسيط، وبتركيبها النغمي المطواع، ستنسجم بيسر وسهولة مع النواظم السلمية للموسيقى الكلاسيكية الغربية، التي تمخّضت عنها أهم آلات الجاز، كالبيانو والغيتار، وأسرة أبواق النحاس المتعددة. انسجامٌ يصل حدّ التماهي ضمن البيئة الموسيقية الغربية للجاز بالطابع وبالتصميم، لجهة اعتمادها قواعد الهرمنة العمودية، التي تُشكل بدورها حوامل إيقاعية للجمل اللحنية. فالأغاني التي يستعرض يوهانسون ألحانها في مستهل كل قطعة مسجلة من الألبوم، ليقوم بتزويدها بالسلاسل الهارمونية ومن ثم توزيعها على العازفين، لتُتداول بين أعضاء الفرقة، إنما تُسمع بصورة تلقائية، كما لو كانت واحدة من الألحان الشائعة والمعروفة لجمهور المستمعين، من محبي هذا اللون الموسيقي عبر العالم.

أما ثاني تلك السمات، التي تُسمع بوضوح لافت لدى يوهانسون، تكمن في الاهتمام المُسهب ببناء الجملة، خلال أداء اللحن الأساسي، وعدم الاكتفاء باستعماله كمدخل للارتجال أو الإضافات الهارمونية.

جاز منذ الطفولة

وُلد يوهانسون في سودرهامن، في السويد. اتقن، في طفولته، العزف على الغيتار والأرغن والأكورديون، ثم تحوّل، في مراهقته، ليحترف الـ Bepop. لاحقاً، التقى عازف الساكسفون ستان جيتز في أثناء وجوده في السويد. تخلى عن دراسته الجامعية لعزف الجاز، وعمل مع العديد من موسيقيي الجاز الاميركيين، لكنّه سرعان ما عاد ليهتم بالتراث الموسيقي الإسكندنافي، ليعيد تصوّره في أعمال بارزة.

إنتاجات

ضمن فعاليات الدورة الثلاثين من **مهرجان وموتمر الموسيقى العربية** الذي يُقام في مصر، تُنظم «دار الأوبرا المصرية»، عند الثامنة من مساء اليوم، عرضاً بعنوان «وهابيات»، يؤدي فيه محمد الحلو مجموعة من أغاني محمد عبد الوهاب.

أخيراً، أصدر الفنان **مالك جودي** ألبوماً جديداً يحمل عنوان Troie، وهو العمل الثالث للمغني الجزائري الفرنسي، الذي بدأ رحلته في عالم الموسيقى الفرنسية عام 2005 عضواً في فرقة البوب روك Moon Pallas.

بعد انقطاع استمرّ لأكثر من عام كامل، أعلنت، أخيراً، «دار الأوبرا السلطانية» في العاصمة العُمانية مسقط برنامج عروضها التي ستُقام ابتداءً من شهر يناير/كانون الثاني المقبل، ليُفتتح بحفل أوبرالي تؤدّى فيه أعمال لـ**جوزيبي فيردي** (الصورة).

أخيراً، تعود **أوركسترا قطر الفيلهارمونية** بعد انقطاع سببته جائحة كورونا إلى العروض الحية؛ إذ تقيم عرضاً في مكتبة قطر الوطنية تحت عنوان «موسيقى من جميع أنحاء العالم»، تؤدى فيه أعمال لآستور بياتسولا وفرانز دانزي وغيرهما.

في عمله الجديد Certified Lover Boy، يشارك مغني الراب الكندي **دريك** عدد من المنتجون، الذين ساهموا في أداء بعض الأغاني معه، أو في إنتاجها بلمستهم الخاصة، ما يكشف عن قوة إنتاجية كبيرة يمتلكها دريك.

LaLisa لـ«ليزا»
انفراد مغنية الـ«كي بوب»

عمر بقبوق

عادةً ما يقترن نجاح أي فرقة بوب في أميركا وبريطانيا، بموهبة فردية تحتل صدارة المشهد، فكانت بيونسي هي العضو الأبرز بفرقة Destiny›s Child، وكان جاستن تيمبرلك هو العضو الأكثر تألقاً في N Sync، وكانت نيكول شيرزنغر في عالم منفصل عن باقي أعضاء The Pussycat Dolls. ذلك كان يجعل من مسار أعضاء الفرقة، بعد انفصالها أو تنسيقها، قابلاً للتوقع. أما في عالم الكي بوب، فالموضوع يختلف إلى حد كبير، فنجاح أيّ فرقة يتعلق بشكل رئيسي بالتوازن الذي يحققه الأعضاء معاً ككتلة، ونادراً ما يتمكن أحد أفراد الفرقة من خطف الضوء من شركائه؛ لذلك، فإنّ مسيرة أعضاء أيّ فرقة تتهاوى بعد تفكيكها، ولا يحقق أحد النجاح بشكل منفرد. لكنّ الأمر يبدو مختلفاً مع ليزا، التي ما زالت عضوة في فرقة الكي بوب BlackPink، والتي أصدرت ألبومها الفردي الأول مؤخراً، بعنوان LaLisa، وحققت من خلاله نجاحاً لافتاً، لم نشهد له مثيلاً بالتجارب الفردية السابقة في عالم الكي بوب. السبب الرئيس الذي يجعل نجوم الكي بوب يفشلون بتجاربهم المنفردة، يتعلق بطبيعة أغنية الكي بوب نفسها؛ إذ تقوم على تداخل الأصوات المتضادة وأساليب الأداء المتفاوتة، التي تتراوح بين الباور بوب والسوفت بوب وراب العصابات والفانك راب. وفي فرقة «بلاك بينك» تتكفل ليزا بأداء مقاطع الراب عادةً. لقد سبق لشريكتي ليزا، جيني وروز، أن قدمتا أغاني منفردة، لكنها لم تحقق نجاحاً يُذكر. قد يكون السبب في ذلك أن الأغاني المنفردة التي قدمتاها، تفقد شيئاً من هيكل أغنية الكي بوب، المتعلق بمقاطع الراب على أقل تقدير. في المقابل، تبدو أغاني ليزا أكثر تماسكاً وانسجاماً مع شكل الأغنية التي يفضلها الجمهور، بسبب قدرتها على تقمص أدوار متعددة، لتؤدي مقاطع الراب ومقاطع الفيرس المغناة بشكل جيد؛ ليس بالجودة التي تؤدي بها دوجا كات، مثلاً، هذه الأنماط المختلفة، لكن بشكل مقبول نوعاً ما، يبدو كافياً لصناعة أغاني كي بوب جيدة. علاوةً على ذلك، فإنّ ليزا تتمتع بحضور خاص، يميزها عن كلّ نجمات الكي بوب، فلا شك أنّ الرقصات الفردية التي تقدمها في أغانيها، تعوض جمالية الرقصات الجماعية.

> تبدو موسيقى الألبوم متوافقة مع معايير موسيقى الكي بوب

تغنّي بهذا العمل بنفسها واسمها (هان غو/Getty)

من بين أغاني ألبوم LaLisa تبرز اثنتان، هما الأغنية الرئيسية Lalisa وأغنية Money التي تقدمها المغنية كاملةً باللغة الإنكليزية، لتسير على خطى فرقة BTS، التي قدمت العام الماضي أول أغنية كي بوب كاملة بالإنكليزية. الأمر الذي يجعل هذه الأغاني تبرز، يتعلق بالتوزع الجغرافي لجمهور ليزا، التي يحتل ألبومها المركز الثاني والسبعين في كوريا الجنوبية، في الوقت الذي يحتل فيه المركز الأول في أميركا بفئة الألبومات الأجنبية؛ فهي تدرك المكانة التي تحتلها في العالم الغربي وتعرف كيف تستثمر ذلك. وفي حين تبدو الموسيقى في أغاني ألبومها الأول، متوافقة مع كل المعايير القياسية في موسيقى الكي بوب التجارية، وتخترقها مقاطع شرقية على إيقاعات التراب الخفيفة، ضمن تركيبة تبدو موجهة للجمهور الذي يعشق سحر الشرق في العالم الغربي. لكنّ نقطة الضعف في الألبوم، تتعلق بالكلمات السطحية، التي تبدو دون مستوى الموسيقى. فعلياً، كلمات أغاني ليزا لا تعبّر سوى عن أناها المتضخمة، فهي تتغنى باسمها وترددد بتواتر وشغف نرجسيين. إلّا أنّ هذه الكلمات البسيطة، تحرك الإيقاع ويبرز جمالها عندما تقترن بالرقصات المرافقة لها؛ والتي تتضافر مع كلّ العوامل الأخرى لتكريس نجومية ليزا واسمها لتكون نجمة السنوات المقبلة، حتى بعد انتهاء ظاهرة BlackPink.